وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ديالى
كلية التربية الأساسية
قسم التاريخ

محاضرات في تاريخ العراق السياسي المعاصر ١٩١٤ – ١٩٦٨

أ.د. قحطان حميد كاظم العنبكي

المحاضرة التاسعة والعشرون

ثانياً: الاضرابات العمالية ١٩٤٨:

اغتنمت الجماهير العمالية،والشعبية،استقالة الحكومة السابقة وتطور الاحداث الداخلية استمراراً للوثبة، في فرض حريات نسبية عامة، معيدة فتح النقابات العمالية التي اغلقت سابقاً، ومنظمة لحركة اضرابات جديدة خلال اشهر **((عرس الوثبة))** التي امتدت من كانون الثاني الى ايار من العام نفسه. فقد قام العمال بسلسلة من الاضرابات الاقتصادية والسياسية والتضامنية،واصبح نضالهم مؤشر النضال الوطني والديمقراطي وصورته المؤثرة، لمّح له نوري السعيد في خطابه في الجلسة المشتركة لمجلس الامة في آخر السنة، إذ اشار الى انه لم يهوله بدايات الانتفاضة بقدر ما حققه العمال خلال اشهر ما بعدها. حيث اشتد نضال العمال واساليب كفاحهم. فكانوا ينطلقون في مواكب موحدة الى وزارة الشؤون الاجتماعية ومجلس الوزراء ولا يعودون إلا ومطاليبهم مستجابة أو يحصلون على اعتراف رسمي بها، وكان العمال في السكك الحديدية في بغداد طليعة هذه الموجة من النضال الوطني العمالي **((وقلبه الخافق))** [١].

---

(١).مجلة الثقافة الجديدة، العدد (٤٠)في أيلول عام ١٩٧٢؛ المؤلف مجهول، سجل الحركة الوطنية ضد معاهدة جبر-بيفن ،المصدر السابق،ص ص،١٢٠-١٢٥.

شملت الاضرابات العمالية اغلبية المؤسسات الاستعمارية والحكومية والاهلية. ففي عين زالة التابعة لمدينة الموصل، اضرب عمال النفط لمدة عشرة ايام في اواخر شباط ١٩٤٨، ونجحوا في تحقيق مطاليبهم ماعدا مطلبهم الرئيس: النقابة. وفي ٢٧ آذار اضرب عمال نسيج معمل محمد صالح في منطقة الاعظمية في بغداد وعددهم ١٥٠ عاملاً، واتصلوا باشقائهم عمال النسيج في معامل الكاظمية ومعمل فتاح باشا ثم انتظموا بمظاهرة ضمت حوالي ١٥٠٠ عامل،هتفت بزيادة الاجور والضمان الاجتماعي. وفي ٢٨ آذار اضرب عمال معمل نسيج فتاح باشا وعددهم ٢٠٠ عامل بضمنهم ٥٠ عاملة. استمرت اضرابات عمال النسيج ومظاهراتهم اليومية حتى ٧ نيسان ١٩٤٨، حيث ساروا في مظاهرة كبيرة عبرت جسر الاحرار واخترقت شارع الرشيد الى وزارة الشؤون الاجتماعية،رافعة شعارات عمالية وسياسية منها: **((تعيش الطبقة العاملة، يعيش اتحاد نقابات العمال، يعيش نضال الشعب العراقي))**، بالاضافة الى شعارات مطلبية، وقد سوندوا من قبل عمال شركة هولواي للجسور وعمال سكك الحديد في بغداد[٢].

قاد الشيوعيون في ٤ نيسان ١٩٤٨ اضراب ٢٠٠٠ عامل من عمال الميناء والبواخر في مدينة الفاو، وفي ٦ نيسان اضرب عمال السفن والكهرباء واسالة الماء والارصفة، فشمل الاضراب عمال الميناء كله في مدينة البصرة، ويقدر عددهم بـ ١٣٠٠٠ عامل. امتاز الاضراب بالشمول والتنظيم ونجح في تحقيق مطاليبه. وكانت في قيادته نقابة العمال التي اكثر اعضائها من الشيوعيين، وهي التي مثلت العمال في المفاوضات مع مديرية الميناء البريطانية، وكان فهد، قائد الحزب الشيوعي، يتابع الاضراب ونتائجه من سجنه[٣].

اعطى عمال سكك الحديد نموذجاً جيداً في فرض مطاليبهم على السلطات ودفع وتيرة كفاح الحركة العمالية. ففي ١٧ نيسان اعلن عمال السكك الحديدية في بغداد اضرابهم الكبير حيث اعلن عمال الشالجية اولاً الاضراب وخرجوا بتظاهرة الى وزارة الشؤون الاجتماعية مطالبين بتحسين اوضاعهم واجازة نقابتهم واعادة العمال المفصولين. انضم اليهم عمال

---

(٢). ملفات الشرطة عن الاضرابات،نقلاً عن:جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية...، ص ص ٥٥٩- ٥٦٠.

(٣). سعاد خيري،من تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق ١٩٢٠-١٩٥٨...، ص ١٧١.

السكك في غربي بغداد، وشماله، وعمال الهندسة والطباعة والمخازن والفلاحون وعمال التنظيف، وشكلوا لجنة لادارة الاضراب. اصدرت بياناً في ١٨ نيسان ١٩٤٨ اوضحت فيه مطاليب العمال، وفي مقدمتها: اجازة النقابة،ايقاف الطرد الكيفي،تطبيق قانون العمل[٤].

كما اصدر الحزب الشيوعي بياناً هاجم فيه موقف ادارة السكك الحديدية والحكومة من مطاليب العمال،ودعا العمال الى مواصلة الكفاح بقوة وصلابة للحصول على حقوقهم المسلوبة.وقد نحج العمال في كسب مطاليبهم[٥].
وكان اضخم اضراب خاضته الطبقة العاملة العراقية في فترة امتداد الوثبة، اضراب عمال النفط في محطة نفط (ك ٣)عند مدينة حديثة، غرب العراق. وهذه المحطة واقعة على خط انابيب النفط الممتد من حقول آبار نفط كركوك الى البحر الابيض المتوسط، وعدد عمالها اكثر من الفي عامل. عكس الاضراب بتنظيمه الاستفادة من التجارب السابقة.وكانت اللجنة الحزبية السرية للحزب الشيوعي تقود الاضراب، وشُكلت مختلف اللجان التي انتخبها العمال،وقد سيطر العمال على المحطة سيطرة تامة، لصيانتها وحماية الاجانب فيها، وشكل الحزب الشيوعي لجنة متابعة ودعم للاضراب في بغداد، وحرك منظماته والنقابات لاسناده. قدمت لجنة الاضراب ١٨ مطلباً وتوسع الاضراب حتى شمل جميع عمال النفط في محطات ك ٢ وك ١ وأج ١، ٢، ٣ وتي ١،الذين قدر عددهم بـ سبعة آلاف عامل.واحبط الحس الطبقي وتضامن العمال مناورات الشركة البريطانية لكسر الاضراب.وكانت آخر وسيلة للشركة هي قطع الطعام عن العمال، مما اضطر العمال للقيام بحركة فريدة في تاريخ الحركة العمالية في العراق، ألا وهي تنظيم مسيرة راجلة الى بغداد لاجبار الحكومة على تلبية مطاليبهم[٦].

---

(٤).المصدر نفسه،ص ص،١٧١-١٧٣.

(٥).ينظر نص البيانين في ملفات الشرطة، سجل رقم ٢٦. نقلاً عن جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية..، ص ص ٥٦٠- ٥٦١.

(٦).ينظر الموقع: http://www.ahewar.org

شارك اهالي القرى المحيطة بالمحطة بفعاليات الاضراب، وقدم سكان المدن التي مرت بها مسيرة العمال كل المساعدات الضرورية، بما فيها سياراتهم. كان هذا الاضراب اطول اضراب عمالي لعمال النفط في العراق استمر من ٢٣ نيسان والى ١٥ آيار بمشاركة عمال كل محطات الضخ غرب العراق. اضافة الى ان عمال النفط من الفصائل المهمة في الحركة العمالية العاملة في مؤسسة بريطانية استعمارية. وقد تمكنت الشرطة من ايقاف المسيرة عند مدينة الفلوجة واعتقلت لجنة الاضراب و١٥ عاملاً، واحالتهم الى المجلس العرفي العسكري، ناهية بذلك الاضراب التاريخي دون ان يحقق مطاليبه. وقد كلف شركات النفط خسارة ٧٥ ألف يوم عمل، وانقطاع النفط عن الضخ[٧].

وشهد شهر نيسان ١٩٤٨ اضافة الى الاضرابات العمالية والتظاهرات ميلاد (اتحاد الطلبة العراقي العام) في اول مؤتمر طلابي عقد في ١٤ نيسان، في ساحة السباع ببغداد.وكانت اللجان الطلابية في كليات الطب والصيدلة والحقوق ودار المعلمين وغيرها من المعاهد قد تشكلت قبل الوثبة ونشطت في تشكيل لجنة طلاب الكليات والمعاهد التي اسهمت مع باقي الطلبة بفعالية ونشاط في يوميات الوثبة وشكلت لجاناً فرعية لها.وقد اقر المؤتمر منهاجاً ونظاماً داخلياً للاتحاد،وفي كلية الطب التي انتقل لها مساءً انتخب لجنة تنفيذية من ٢٥ عضواً،وانتخب لجنة سكرتارية سباعية ممثلة للاحزاب السياسية اليسارية. وقد قاطع حزب الاستقلال المؤتمر لانه لم يحصل على اي صوت.وتبنى الاتحاد مطاليب وطنية عامة، ومهنية، وكان للطلبة الشيوعيين الدور البارز في عقده وتأسيس الاتحاد ولجانه وفي صياغة مطاليبه ومهماته.كما اسهمت مجموعات من العمال بحراسة موقع المؤتمر والمؤتمرين في ساحة السباع ومداخلها[٨].

في الاول من آيار ١٩٤٨ عقد العمال اجتماعاً علنياً، في سينما دار السلام الصيفي،في شارع الكفاح ببغداد،احتفالاً بعيد العمال العالمي. حضره الوف من العمال والجماهير الشعبية،وقد تجمعوا في الشوارع والازقة المحيطة بدار السينما بعد ان ضاق

---

(٧). المصدر نفسه.

(٨). باقر ابراهيم ، دراسات عن الجبهة الوطنية،(بغداد، ١٩٧٣) ،ص ص ٢٥- ٢٦.

المكان،ونصبت في الشوارع المحيطة المكروفونات لاسماع الحاضرين الخطب والقصائد والاهازيج. كما تصدر المهرجان شعار **((الطبقة العاملة العراقية تحتفل بذكرى اول آيار عيد العمال العالمي))** وشعارات سياسية وعمالية اخرى.
توالى الخطباء من ممثلي العمال من مختلف المدن،واتخذ الاجتماع قرارات هامة صودق عليها بالتصفيق العاصف والهتافات المدوية،ومن بين القرارات قرار حول دعم الشعب الفلسطيني في كفاحه ضد الاستعمار والصهيونية[٩].

لقد كانت الاشهر الخمسة، من كانون الثاني الى آيار،اشهر كفاح وطني، اطلق عليها اسم وثبة كانون في تاريخ العراق السياسي.استطاعت الحركة العمالية والوطنية فرض النقابات واتحاد الطلبة فيها.وتمكن العمال من انتزاع بعض المكاسب الاقتصادية.واجيزت جريدة(الاساس)الشيوعية التي كانت لسان حال الوثبة.وكانت الشوارع قد انتقلت في تلك الايام الى ايدي العمال وجماهير الشعب الكادحة، بفعالية واضحة للحزب الشيوعي لاسيّما في المدن الكبيرة مثل العاصمة بغداد والبصرة وكركوك. بينما شملت الحركة الاضرابية البلاد،من عين زالة في شمال العراق الى الفاو في جنوبه. كمل شملت قطاعات واسعة جديدة من العمال لم يمتد اليهم النشاط النقابي والحركة الاضرابية من قبل.وامتازت الحركة الاضرابية العمالية بالطابع السياسي وبالتظاهرات السياسية العنفية.وبرزت اضرابات التأييد والتضامن الرمزية للعمال المضربين في المشاريع الاخرى،من بينها اضرابات عمال السكك الحديدة، عاكسة نمو الوعي الطبقي–التضامني ولاسيّما في المشاريع الكبيرة[١٠].
لقد كانت الحركة العمالية الاضرابية، والمشاركة في الاحداث السياسية في اشهر الوثبة القلب النابض للحركة الوطنية الديمقراطية في العراق، ولذلك ركزت الحكومة على الحركة العمالية منذ اعلان الاحكام العرفية في ١٥ آيار ١٩٤٨ تمهيداً لشل الحركة الوطنية

---

(٩).مجلة الثقافة الجديدة ،العدد(٤٠)في أيلول ١٩٧٢؛ جريدة الفكر الجديد،بغداد،العدد (٤٥) في ٢٨ نيسان ١٩٧٣.

(١٠).ينظر الموقع: http://www.ahewar.org

الديمقراطية وسلب مكاسب الوثبة، وبحجة حماية مؤخرة الجيش العراقي،والضلوع في التآمر على قضية الشعب الفلسطيني[١١].

قدم الشعب العراقي في اشهر الوثبة مئات الشهداء، فقد قدر شهداء يوم ٢٧ كانون الثاني بين ٣٠٠-٤٠٠ شهيد[١٢]،وقد شملت كل قطاعات الشعب، من العمال والطلبة والمثقفين وفئات البرجوازية،وامتدت على مساحة ارض العراق. كتبت صحيفة News and Views World اللندنية في عددها الصادر في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٨ بان ((**قدرة الشعب العراقي غيّرت الوضع في العالم العربي وتوقفت الدعاية حول الاحلاف العسكرية بين البلدان العربية والكتل الامريكية – البريطانية ضد الاتحاد السوفيتي وحركة التحرر التي كانت تقوم بها حتى احداث كانون الثاني**))[١٣].وكتب خالد بكداش بأن ((**السياسة الامريكية والبريطانية قد باءت بالفشل، وتبينت آثار هذا الفشل في جميع العواصم العربية**)) [١٤]. وقد قوبلت وثبة الشعب بالتقدير الحار من قبل الشعوب العربية والرأي العام التقدمي، وبالاستنكار من الاستعمار وحلفائه في المنطقة[١٥].

وصفت صحيفة (تربيون) اللندنية الوضع في العراق في شهري آذار ونيسان ١٩٤٨ بانه:((**في حالة شديدة من الثورة، وان هذا الوضع تعبير عن الاستياء العام ضد الحكومة وضد الطبقة الحاكمة وضد البريطانيين بالدرجة الرئيسية**)) [١٦]. لكن هذا الوضع قد تغيّر بعد منتصف آيار على اثر اعلان الاحكام العرفية[١٧]، بحيث ساد البلاد جو من الارهاب

---

(١١). المصدر نفسه.

(١٢).المصدر نفسه.

(١٣). المصدر نفسه.

(١٤). خالد بكداش، انتفاضة الشعب العراقي لسنة ١٩٤٨،(بغداد،د.ت)،ص١١.

(١٥). للمزيد من التفاصيل ،ينظر:جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية..، ص ص ٥٤٦- ٥٤٧.

(١٦). نشرت ترجمته جريدة الشعب،بغداد،العدد(١٠٦٤)في ٢٧ نيسان ١٩٤٨؛ جعفر عباس حميدي، التطورات السياسية..،ص ٥٧٣.

(١٧). جريدة الوقائع العراقية،العدد(٢٦١٠)في ١٥ أيار ١٩٤٨.

السياسي،فانكمشت الحركة العمالية، وزج بقادتها في السجون، واغلقت اهم النقابات واكبرها في العراق، وعادت الحكومة من جديد تسيّر دفة البلاد لخدمة مصالحها على حساب مصالح الشعب والبلاد،وقد استمرت الاحكام العرفية نحو عشرين شهراً فقد الغتها وزارة علي جودت الايوبي الثانية في ١٧ كانون الثاني ١٩٤٩،وكانت مبعث تذمر الشعب بمختلف طبقاته،واتهمت الاحزاب السياسية الوزارات العراقية المتعاقبة باستغلال هذه الاحكام في أمور لاتمت الى قضية فلسطين بصلة،ولاسيّما في قضية الانتخابات،حتى أن محمد مهدي كبه وزير التموين في وزارة محمد الصدر استقال من منصبة لهذا السبب[١٨].

ولاشك ان ثمة نواقص جدية اعترضت ديمومة نجاح الحركة الوطنية لاسيّما العمالية بضرورة توطيد المكاسب التي تحققت ونقلها الى انجاز مهمات سياسية واقتصادية واجتماعية اكبر واوسع. حيث **((كان الارتفاع الباهض في تكاليف الحياة وحده كفيلاً باثارة استياء الجماهير، والذي امتزج مع استنكار شعبي ازاء استمرار معاهدة الارتباط مع بريطانيا ومع معارضة حادة ضد الحكومة التي كانت مهيأة لتقبل هذه المعاهدة))**[١٩]. وكان من الضروري ان تجعل الطليعة السياسية العمال يشعرون بخبرتهم وممارستهم إن زيادة الاجور وتحسين ظروف العمل، لن تكون مضمونة إلا بانتزاع الديمقراطية السياسية، والا باجراء تغيير ثوري جذري في السلطة السياسية، في طبيعتها وتركيبها[٢٠].كما ان تفكك العلاقات بين الاحزاب السياسية وتناقض مواقفها من النواقص التي يسرت للحكومة مهمتها، مثلما كان ضعف العمل بين القوات المسلحة وغيرها اعطى فرصة اكبر للحكم الملكي في الانقضاض على الوثبة ومكاسبها.

وفي اواخر عام ١٩٤٨ تلقى الحزب الشيوعي والحركة العمالية ضربة موجعة، مزدوجة، اذْ أُعتقل عدد من قادته وكوادره، وانهار بعضه واضّر اهداف الحزب والشعب بتعاونه مع

---

(١٨). عبد الرزاق الحسني،تاريخ الوزارات العراقية..، جـ٧،ص٣٣٤.

(١٩). ماريون وبيتر سلوجليت، الطبقة العاملة ومهام التحرر الوطني في العراق، مجلة الطريق، بيروت، العدد ٣ و٤ آب ١٩٨٠.

(٢٠). جريدة طريق الشعب، العدد(٨٣١)في ١٠حزيران ١٩٧٦.

العدو الطبقي بمثل نشاطه السابق في الحزب، كاشفاً اسراره وتنظيماته العمالية والجماهيرية للسلطات الحكومية. وفي هذا الوقت العصيب اتخذ حزب الاحرار والحزب الوطني الديمقراطي موقفاً متراجعاً بتجميد نشاطهما وحرمان الشعب من اية وسيلة نضالية علنية.وكشفت الاحزاب البرجوازية ضعفها المستمر امام مغريات السلطة وتقلبها في التحالفات ومناصرة قضايا العمال والحركة الوطنية عامة. وتوضحت مواقفها اكثر في الهبات الشعبية وتوفر الوضع الثوري الموضوعي والمنعطفات التاريخية. يضاف الى ذلك ان القوى الوطنية الديمقراطية والعمالية لا تخلو من حالات التردد والانتظار والترقب غير المجدي الذي يضيع في كثير من الاحيان الاهداف المطلوبة ولحظات التاريخ التي تعد سنوات في حياة الشعوب[٢١].

(٢١).ينظر الموقع: http://www.ahewar.org